المكتبة الحديثة للأطفال

شهربان الصغيرة

و قصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

عميد مفتشي اللغة العربية سابقاً

الطبعة السابعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرني أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهي صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورغباتِهم وتفكيرَهم وخيالَهم ،

وحرصًا مني على أن أضعَ أمامَهم المثلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، في صورة ملائمة للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ في اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصيَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا في هذه المجموعةِ ألوانًا من القصصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبيةِ ، والجغرافيةِ ، والتاريخية .

إن كلَّ ما في « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ ما يرغبه في القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتها ،

وجمالُ أسلوبها ، وحرصُها على المثُلِ العليا فى النواحى الخلقية والاجتماعية والعاطفية ، فيمضىَ إلى نهايتها ، ومن هذه الى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقًا إلى مُعاوَدَة قراءتِها .

وَقدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الاسلوب ، وشرحتُ مز الكلماتِ اللغوية ما صَعُب ، ووضَّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهمِ هذه القصص ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظة ، وجمالَ الذوق .

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهات ، والمدرسين والمدرسات ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاة خيرَ ما يُهدُونَ إلى أبنائهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفل ، وتنمّى خيالَه ، وتسمو بروحِه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتها لذةً وسرورًا يشعُر بهما الكبارُ أنفسهم حينَ يقرءونها .

وأرجو أن أكون بهذه « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبى نحوَ الجيل الجديدِ فى هذا العهد السَّعيد ، فى جمهورية مصر العربية ، والشرق العربىَ .

أسأل اللهَ التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مجيب .

محمد عطية الإبراشى

القِصَّةُ الأُولَى

شَهربانُ الصَّغيرةُ

كانَ فى قَدِيمِ الزَّمانِ مَلِكٌ ومَلِكةٌ . وكانَ الشَّعْبُ يَكرَهُ المَلِكَةَ كَراهَةً شَديدَةً ، وَلا يُحبُّها أَبدًا ؛ فَقَدْ كانَتْ فَظَّةً قاسِيَةَ الْقَلبِ ، لا تَشعُرُ بِشُعورِ أَحَدٍ ، وَلاَ تَتألَّمُ لأَحَدٍ وَلاَ تُشفِقُ علَى إنسانٍ ، وَلا تَعطِفُ علَى فَقيرٍ أَوْ مِسكينٍ أَو يَتِيمٍ ، وَلا تُفكِّرُ فى أَحَدٍ مِنْ مَخْلوقاتِ اللهِ . لا تُحِبُّ أَحَدًا ، وَلا يُحِبُّها أَحَدٌ . وَلقَسْوةِ المَلِكَة كانَت الحوريَّاتُ يَكرَهْنَها ولا يُحْبِبْنَها. وَكُنَّ دائِماً يَقُلْنَ : إنَّ المَلِكةَ قاسيةُ القَلْبِ ، لاتُحِبُّنا ولا تُفكِّرُ فِينا ، ونَحْنُ لا نُحِبُّها ، ولاَ نُفكِّرُ فيها .

وكان لِلْمَلِكَةِ بِنتٌ مِثْلُها اسمُها الأَميرةُ شَهربانُ. وفى لَيْلَة منَ الليالى كانَت الملِكَةُ جالسةً بالقُرْبِ مِنْ سَرير ابنَتِها تَنظُرُ إِلَيها مُعجبَةً بِها ، وتقولُ لنَفسها :

إنِّى لَسْتُ فى حاجةٍ إلى مُساعَدةِ أحدٍ ؛ فَأَنا مَلِكَةُ البِلادِ ، يُمكنُنِى أَنْ أَفعَلَ ما أُريدُهُ ، وآمُرَ بِما أُحِبُّ. ولا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُعارِضَنى فِيما أُريدُهُ ، أَوْ يُخالِفَنى فِيما آمُرُ به . وَكَلِمَتى لاَ بُدَّ أَن تَنفُذَ ، وأَوامِرِى يَجِب أَن تُطاعَ » .

وَفى تِلكَ اللَّحْظةِ دَخَلَت الْحُجرةَ حُورِيَّةٌ صَغيرةَ وَقالَتْ : « أَيَّتُها المَلِكةُ ، إِنَّكِ قاسِيةُ القَلبِ ، لا تُحِبِّينَ أَحَدًا ، ولايحِبُّكِ أَحَدٌ . وَلاَ تَستَطِيعِينَ أَن تفْعَلِي كُلَّ ما تُريدينَ . وَلا يُمكِنُكِ أَن نَستَغْنى عَن النَّاسِ . وإِنَّكِ فى حاجةٍ إِلَى مَن يُساعِدُكِ . وسَآخُذُ شَيئاً مِنَ الأَميرَةِ شهْرَبانَ . سَآخُذُهُ فى اللَّيلَةِ الآتيةِ ، وَلَنْ تَسْتَطيعى أَن تَحصُلِي عَليهِ ثانيةً إِلاَّ بِرَغبَتِى أَنا » .

وَفى اللَّيلَةِ الآتيةِ أَمَرتِ المَلِكةُ أَن يَقِفَ جميع الْخَدَمِ بِالقُربِ من الأَميرةِ شَهْربانَ فى حُجرتِها لحِراسَتِها ؛ وَقالَتْ : « لَيسَ فى استطاعةِ أَحَد أَنْ يَأْخُذَ شيئاً

الملكة المكروهة جالسة ، وابنتها الصغيرة نائمة ، والحورية تهدد الملكة لأنها ظالمة

مُطلَقاً مِن ابنَتى » . وَبَعدَ أَن طَلَع الفَجرُ ، واقترَبَ النهارُ ، وَظَهَرَ ضَوْءُ الصَّباحِ ، سمِعَت المَلِكَةُ صَوْتاً ضَعِيفاً ، وَرَأَتْ شَيئاً كَطائرٍ صَغِيرٍ أَحمرَ قَدْ خَرَجَ من طِفلَتِها النَّائمةِ ، واتَّجَهَ جهَةَ النافِذَةِ ، وَخَرَجَ مِنها ، ثُمّ طارَ بِسُرعةٍ حَتَّى بَعُدَ عَن الأَنْظارِ وَاستَخْفَى ، وَاسْتَمرَّت الطِّفلةُ نائِمةً ، وارْتبَكَت المَلِكَةُ ، وَرَأَت الْحُورِيَّةَ الصَّغِيرَةَ جالِسةً على النافذةِ ، فَسَأَلَتْها المَلِكَةُ : ماذَا أَخَذْتِ مِنَ ابْنتى ؟

فلَمْ تُجِبْها الْحُورِيَّةُ ، وَلَمْ تُفكِّرْ فِيها ، وَذَهَبَتْ إِلى حالِها .

أَحَسَّت المَلِكَةُ أَنَّ شَيئاً حَدَثَ ، وقَدْ شُغِلَ بالُها ، وَاضْطَربَ فِكْرُها . وَمَضَت الأَيامُ والسِّنونَ ، حَتى كَبِرَت الأَميرةُ شهْربانُ ، وَصارتْ فَتاةً فى غايةِ الْجَمالِ ، وَلَكِنْ كانَ فيها عَيْبٌ واحدٌ كَبِيرٌ ، هُوَ أَنَّها لا قَلْبَ لَها ،

فَقدْ أَخذَتِ الْحُوريَّةُ قَلبَ الأَميرةِ وَهِيَ صَغيرةٌ . لِهٰذَا كانَتْ قَلِيلةَ الإِحساسِ ، شَديدةَ البُرودَةِ ، لا تَشْعُرُ بشعُورِ أَحدٍ ، وَلاَ تُحِسُّ إِحساسَ غَيرِها ، ولا تَعطِفُ علَى إِنْسانٍ ، وَلا تُشْفِقُ عَلى يَتيمٍ أَوْ مَريض ، ولاتَرْأَفُ بِفَقيرٍ أَو مِسكينٍ . لا تَتَأَلَّمُ لمُتَأَلِّمٍ ، ولا تَحزَنُ لحَزينٍ ؛ فَلا عَجبَ إِذا لَمْ يَكنْ لَها صَديقةٌ وَلاصَديقاتٌ ؛ لِأَنَّها لَمْ تُحِب أَحَدًا ،وَلَمْ يُحِبَّها أَحَدٌ ، وَنَفَرَ النَّاسُ مِنها جَميعاً ، وَعاشَتْ فى عُزلةٍ لَمْ تَختَلِطْ إِلَّا بأُمِّها ، وَلَم تُحِسّ بِأَىِّ سَعادة كَغيرِها مِن الأَميراتِ السَّعيداتِ .

وَقَد كانَ فى المَمْلَكَةِ المُجاورَةِ أَميرٌ مِنَ الأُمَراءِ المَحبوبينَ اسمُه الأَميرُ عادِلٌ . كانَ طَيِّبَ القَلبِ ، نَبيلَ الخُلُقِ ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، يَعطِفُ على الفُقَراءِ ، وَيُحسِنُ إِلى المَساكينِ ،وَيُفكِّرُ فى اليَتامى والمُحتاجين ، وَيُشفِقُ عَلَى المَرْضَى وَالضُّعَفاءِ المَحرومينَ . لِذلكَ

كانَ محبوباً من كلِّ فَردٍ مِن أَفرادِ الشَّعب .

سَمِعَ الأَميرُ عادِلٌ عَن الأَميرة شَهْربانَ ، وجَمالِها الفتانِ ، فَفكَّرَ فى أَنْ يَخْطبَها لِتكون عَروساً لَه .

وكانَ فى تلكَ المَمْلَكَةِ المُجاورَةِ جَبَلٌ مُرتَفِعٌ ، قَدْ بُنِى عَلَى قِمَّةِ (الجُزءِ العُلْوِىِّ) مِنه مَنزِلٌ صغِيرٌ ، يَعِيشُ فِيه رَجُلٌ صالِحٌ . وَكانَ الأَميرُ عادِلٌ يُحِبُّ هذا الرَّجُلَ الصالِحَ ، وَيثقُ بِه ، ويَستشيرُه فى كُلِّ مُشْكِلَةٍ مِن المُشكلاتِ ، وَفى كلِّ أَمرٍ يَصعُبُ عَلَيه مِن الأُمورِ . ذَهبَ الأَميرُ إِلى الرَّجُلِ الصالح لِيَأْخُذَ رَأْيَه فى الأَميرةِ ؛ لِيخطبهَا وتكون زوجةً لَه .

فقالَ لهُ الرَّجُل الصالِحُ : إِنها جمِيلةٌ حقًّا . وَلكنَّها قاسِيَةُ القلبِ ، لا تُحِبُّ أَحَدًا ، ولا يُحبُّها أَحَد . ولنْ تكونَ سَعيدًا بزَواجِها ، إِلاَّ إِذا غَيَّرَتْ أَخلاقَها وَعَادَاتِها . ولٰكِنَّ الأَميرَ عادِلاً عَزَمَ عَلى أَن يَرَى الأَميرةَ شَهْربانَ بنَفسِه ، فَذَهَبَ إِلى أَبِيه ،

ذهب عادل إلى الرجل الصالح ليأخذ رأيه فى أن يتزوج شهربان

وَعَرَضَ عَليه رَغبَتَه فى أَنْ يَتزوَّجَ الأَميرةَ شَهْربانَ ، وَرَجاهُ أَنْ يَسْمَحَ له بالذَّهابِ لرُؤْيَتِها وَالحُكم عَلَيها . فَسمَحَ لَه أَبوهُ .

فَخَلَع الأَميرُ مَلابِسَه ، وَلَبِسَ مَلابِسَ شابٍّ فَقيرٍ ، وَأَخفَى مظهرَهُ حَتَّى لا يَعرِفَه أَحَدٌ ، وَسافَرَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى القصرِ الَّذِى تَعيشُ فيه الأَميرةُ معَ أَبيها وَأُمِّها . وَفى ذٰلكَ الْوَقتِ كانتِ الأَميرةُ فى الحَديقة ، فَنظَرَ إِلَيها الأَميرُ عادلٌ ، ورآها بنفْسِه ، وَسَمِعَها وهِىَ تَتكلَّمُ معَ البُسْتَانىِّ وَالخَدَم . وقد لحَظَ أَنها عابسةُ الوَجهِ ، لا تَبتسِمُ لأَحد ، وَأَنَّ كلامَها جافّ ، لا تَتكلّمُ مَع البُستانىِّ بلطفٍ ورِفْقٍ. يَظهَرُ عَليها البُرودُ فى إِحساسِها وشُعورِها ، وَلا تُحِسُّ بشىءٍ مِن السَّعادةِ . وَرَأَى أَنَّها جَميلةٌ حَقًّا ، وَلٰكِنَّ جَمالَها لَمْ يَكْمُلْ .

رَجَعَ الأَميرُ إِلَى الرَّجُلِ الصالح فى مَنزِلِه المَبنِىِّ على الجُزءِ العُلْوِىِّ مِن الجبَلِ ، وقالَ لَه : أَرجو أَن

تخبرَنى : لماذا أَرَى الأَميرةَ غَلِيظَةَ القَلب ، قاسِيَةَ المُعامَلةِ ، جَافَّةً فى حَديثها معَ الناسِ ، عابِسةَ الوَجْه ، يَظهَرُ عَلَيها البُؤْسُ والشَّقَاءُ ، وَلا تشعُرُ بشُعورِ أَحَد ، ولا تَعْطفُ على إنسانٍ ، وَلا تحبُّ أَحَدًا ، وَلا يُحِبُّها أَحَدٌ؟

فَأَجابَه الرَّجلُ الصالحُ : إنَّ حُورِيةً صَغيرةً مِن الحوريَّاتِ قدْ أَخَذَتْ قَلبَ الأَميرة ، وهِيَ طِفلَةٌ صَغِيرةٌ ؛ عقاباً لأُمِّها القاسِيَةِ الفَظَّةِ . فَالأَميرةُ لاتَعطف على أَحدٍ ؛ لأَنَّها لاقَلبَ لَها . وهٰذَا هُوَ السَّببُ فى أَنها لا تشعُرُ بشعُورِ غَيرِها ، وَتكرَهُ الناسَ جَميعاً ، ولا تحبُّ أَحَدًا مُطلَقاً .

فسَأَله الأَمير : وأَينَ أَجِدُ قَلبها الَّذِى أُخِذَ مِنها؟ وَهَلْ مِنَ المُمكن أَنْ يُرَدَّ إِلَيها قَلبُها ؟

فَأَجابَهُ الرَّجلُ الصالحُ إِنَّ مِنَ المُمكن أَنْ تَجِدَ قَلبَها ، وَتَرُدَّهُ إِلَيها ، ولٰكِنَّكَ تَحتاجُ إِلى سَفر طويل شاقٍّ ، وتَضحيةٍ كَبيرةٍ منكِ .

فقالَ الأَميرُ عادلٌ : إِنِّى مُسْتعدٌّ لِهٰذَا السَّفرِ الشاقِّ ، ومُسْتعدٌّ لهٰذه التَّضْحيةِ ، إِذَا أَرْشَدْتَنى إلى الطريقِ ، وما يَجبُ أَنْ أَقومَ به من عَملٍ .

فَقالَ له الرَّجلُ الصالحُ : سَتُضطَرُّ أَن تُسافرَ سَفرًا يَستغرِقُ أَكثرَ مِنْ أُسبوعٍ ، وسَتمُرُّ بجِبالٍ زَرقاءَ وسَتعْبُرُ بَحرًا أَزرقَ . وبَعد أَن تَعْبرَ هذا البَحْرَ سَتسيرُ حَتى تصِلَ إِلَى مَنزِلٍ أَزْرقِ اللَّونِ قريبٍ مِن النَّهر . وأَمامَ هذا المنزلِ سَتجدُ ثُعباناً كبيرًا . وستُضطرُّ أَن تَخدُمَ هٰذا الثُّعبانَ ثَلاثَ سَنَواتٍ ، وتُحضرَ له ما يَحتاجُ إِلَيهِ مِن الطَّعامِ والشَّراب . وبَعد انتِهَاءِ الثَّلاثِ السَّنَواتِ سَيفْتحُ لك الثُّعبانُ بابَ المنزِلِ الأَزرقِ . فَعِندئذٍ ادخُل المنزِلَ ، ولا تُكَلِّمْ أَحدًا مُطلَقاً ، وإِذا سأَلك أَحدٌ سُؤَالاً فلا تُجبْه . وَستَجِدُ فى ذَلك المنزلِ قلبَ الأَميرة المَخطوفَ ، بَعد أَن تَبحثَ عَنه قليلاً .

فشَكرَ له الأَميرُ نَصيحَته جَزيلَ الشكرِ ، وَوَدَّعَه ،

ثُمَّ استعدَّ للسَّفرِ ، وأَخَذ مَعَه ما يَحتاجُ إليْه فى السفر الطويلِ ، وَوَدَّع أُسرَتَه ، وسافرَ مُعتَمدًا على الله . وقَضَى فى السَّفر عدَّةَ أَيامٍ ، وَمرَّ بالجبال الزَّرقاءِ ، واستَمَرَّ فى طريقِه حتى وَصَل إلى بحرٍ كَبيرٍ أَزرقَ فعَبَرَهُ ، وما زالَ سائرًا حتى رأى منزلاً أَزرقَ بالقُرْب مِنْ نَهرٍ ، فذهب إلَى ذٰلكَ المنزلِ ووَجدَ أَمامَه ثُعباناً كبيرًا ، فقالَ له : لَقدْ حَضرْتُ لأَخدُمَك ثَلاث سِنينَ ، عَلَى أَن تَفْتَحَ لى بابَ المنزلِ . فرَحَّب به الثُّعبانُ ، ووَعَدَهُ أَن يَفتحَ له البابَ بَعدَ انتهاءِ هٰذه المدَّة .

مكَث الأَميرُ ثَلاثَ سَنواتٍ يَخْدُمُ الثُّعبانَ ، وَيُقدِّمُ لَهُ ما يَحتاجُ إليْه من الطَّعامِ والشَّرابِ ، وَلا يُكلِّمُ أَحَدًا مُطلَقاً ، حتى انتهتْ هٰذه المدَّةُ الشَّاقَّةُ ، وظَهَر التَّعبُ وَالكِبَرُ عَلَى الأَمير ، مِن الوَحْدةِ والعُزْلة وانقِطاعِه عَن الحياةِ التى اعْتادَها . وكانَ يُرَى كأَنَّه رجُلٌ هَرِمٌ كَبيرُ السِّنِّ . وفى يومٍ من الأَيامِ سَأَل الثعبانَ : هَل

انتهَت الثَّلاثُ السَّنَوَاتِ ؟

فَأَجابَ الثُّعبانُ : بَعد ثلاثَة أَيامٍ سَتَنتهى ثلاثُ السَّنَواتِ ، وَسَأَفِى بِوَعدِى ، وسَأَفتَحُ لكَ بابَ المنزِل.

وَبَعدَ ثَلاثةِ أَيام فَتح الثعبانُ بابَ المنزلِ ، فَدَخلهُ الأَميرُ عادلٌ .

وَحِينَما دخَل الأَميرُ المنزِل أَتَتْ إليه مَلِكةجميلةٌ ، وقالَتْ لَه : إِنَّنى مَلكةُ هٰذه البِلادِ ، فمن أَنتَ ؟ ومِن أَينَ أَتيتَ ؟ وماذا تُريدُ ؟

فَتذكَّر الأَميرُ نَصيحة الرَّجُل الصالحِ ،وَلمْيَتكلمْ ، ولم يُجبْها عن أَسْئِلتهَا .

فقَالتْ له : تعَالَ مَعى ، فإِنك جائعٌ . وفى حاجةٍ إلى الطَّعام والشَّرابِ .

فلمْيَرُدَّ الأَميرُ ،ولمْيَتكلمْ ،ولمْيَقبَلْأَنْيَأْكُلَ شيئاً .

فَغضبتِ الأَميرةُ ، وتَأَلَّمتْ منه ، وتركتْه . وابْتعدتْ عنه .

فتح الأمير الصندوق الذهبى ، فوجد فيه قلب شهربان الصغيرة

دَخلَ الأَميرُ كلَّ حُجرةٍ فى المنزلِ ، وبَحثَ فى كلِّ حُجرةٍ عن قلبِ الأَميرةِ ، حتى وَصلَ فى النِّهايةِ إلى حُجرةٍ بابُها كَبيرٌ مَصنوعٌ من الذَّهبِ ، ففَتحه ودخل الْحُجرةَ ، فَوجدها شديدةَ البُرودةِ ، ورأَى فى وَسطِها مِنضدةً ، ووجدَ فوقَ المِنضدةِ صُندوقاً ذَهبيًّا صغيرًا ، ومِفتَاحَه بجانبِه . فأَخذ الأَميرُ المِفتاح ، وفتحَ الصُّندوقَ الذَّهبيَّ ،فوجد فيه قلباً صَغيرًا ،هُوَ قلبُ الأَميرَةِ.

فأَخذَ الأَميرُ الصُّندوق الذَّهَبيَّ ، ووَضعَ فيه قلْبَ الأَميرَةِ كما كانَ ، وأَغلقَه بِالمِفتاح وأَخذ المِفتاحَ مَعه ، ووَدَّعَ الثُّعبانَ وترك المنزِلَ ، ورَجعَ من حيثُ أَتَى . وَسافرَ عِدَّةَ أَيامٍ ، وَعَبرَ البحرَ الأَزرقَ ، وَاستمرّ فى سفرِه حتى مرَّ بالْجِبالِ الزَّرقاءِ . وَأَخذ يَسيرُ حتى وصلَ إِلَى العاصِمةِ التى تُقيمُ بِها أُسْرَةُ الأَميرةِ شَهْربانَ .

وحينما كان سائرًا فى المَدينةِ رأَى ازدِحاماً كبيراً ،

وأُناساً كثيرين فى الشوارِعِ ، فَسأَل عنِ السَّبب فى كَثرَةِ الإزدحام ، وَكَثرةِ الناسِ فى العاصِمةِ اليومَ .

فأَجابهُ أَحدُ المارِّينَ : « هٰذا يَوْمُ زواج الأَميرةِ . وَستَتَزَوَّجُ ملِكاً كَبيرَ السنِّ ، قَبيحَ المَنظرِ ؛ لِأَنها مَعروفَةٌ بِأَنها بارِدَةُ الْإِحساسِ ، لا تُحبُّ أَحَدًا ، وَلا يُحِبُّها أَحدٌ ، وَلا تَعطِفُ على فَقيرٍ . وَأَعتَقِدُ أَنَّ المَلكَ الذى سَيتزوَّجُها سيكونُ سَيِّئَ الْحظِّ ، وَلَنْ يُحِسَّ بِالسَّعادةِ . وَلٰكنهُ رجُلٌ هَرِمٌ كَبيرُ السِّنِّ على أَىِّ حالٍ ، وَيجبُ أَنْ تتزوَّجَ هِىَ أَىَّ إنسان » .

فَتأَلَّمَ الأَميرُ ، وَذَهبَ بِسُرْعةٍ إلى قصرِ الملكِ ، وَمَعهُ الصُّندوقُ الذَّهبِىُّ الصَّغيرُ ، وَقالَ لِلْخدَمِ : إنِّى أُريدُ أَنْ أَدْخُلَ القَصرَ ؛ لِأَنَّ عِندى أَمانةً أُريدُ أَنْ أُعْطيَها الأَميرةَ .

فقالَ الخدَمُ : إنَّكَ رجُلٌ فقيرٌ ، وَمَظْهَرُكَ وَمَلابِسُكَ تَدُلُّ على فقرك . ولا يُمكِنُنا أَنْ نَسْمَحَ لَكَ

بالدُّخولِ فى قُصورِ المُلوكِ . وإنَّ مَلابسَكَ التى تَلبَسُها تَدُلُّ على أنكَ فقيرٌ حقًّا .

فَجلَسَ الأَميرُ مُتَأَلِّماً بالقُربِ من قصرِ الملكِ ، يَنتَظِرُ الفُرْصَةَ التى تخرُجُ فيها الأَميرةُ .

وَبَعدَ ساعَتيْنِ خرجَ الملكُ وَمعهُ الأَميرةُ ، وكانا ذاهبَيْنِ إلى قصرِ المِلكِ الهَرِم الَّذى سَتتزوَّجُه الأَميرةُ .

فتقدمَ الأَميرُ عادلٌ بكلِّ شجاعة ، وأَخذَ يَد الأَميرةِ ، وقالَ لَها : « أَيَّتُها الأَميرةُ ، إنَّ عِندى أَمانَةً غاليةً خاصَّةً بِكِ فَخُذِيها » .

وفَتحَ الأَميرُ الصُّندوقَ الذَّهبىَّ ، وقَدَّمَهُ لَها ، فَخرَجَ مِنه قَلبُ الأَميرَة ،وَذَهبَ إلَى صَاحبتِه ،وَرجَع إلَى مَكانِه .

وَفى الحالِ تَغَيَّرَت الأَميرةُ ،وَتَغيَّرَ وَجهُها وَمَظْهَرُها . فَابتَسَمتْ بَعدَ أَنْ كانتْ عابِسَةً ، وَظَهَرَ عليها عَلاماتُ الفَرَحِ والسُّرورِ على غَيرِ المُعتادِ وَأَخَذَتْ تُعطِى الفُقَراءَ الواقِفِينَ كَثيراً من المالِ ، وَقالتْ لأَبيها : « أَبى ،

قال عادل لشهربان : إن عندى أمانة غالية خاصة بك فخذيها

أَرْجُو أَنْ تَسمَحَ بِأَنْ أَتزَوَّجَ هٰذا الرَّجلَ الذِى أَعادَ إِلَىَّ قَلبِى . إِنِّى أُحِسُّ بعَظَمةِ هٰذا الرَّجُلِ الذى ضَحَّى بِراحَتِه ، حَتى وَصلَ إِلَى أَن أَعادَ إِلىَّ قَلبِى ، فَصِرْتُ أَشْعُرُ بما يَشْعُر به الإِنسانُ الشَّفيقُ » .

فَقَبِلَ المِلِكُ ، وَسَمَحَ لها أَنْ تَتزَوَّجه . فشكَرَ لَهُ الأَميرُ مُوَافَقَتَه ، وَعَرَّفَه بنفسه ، وتَزَوَّجَ الأَميرُ الأَميرَة ، وأَحبَّها وَأَحَبَّتْه ، وأَخْلَصَ لها وأَخْلصَتْ لهُ واجتَمَعَتْ أُسرَتُها بأُسرَتِه ، وأُسرَتُه بأُسْرَتِها .

واحتُفِلَ بزوَاجِهما احتفالٌ يليقُ بِهما . وعاشا سَعيدَينِ فى حَياتهما .

وصارَت الأَميرَةُ تَعطِفُ عَلى المساكينِ ، وتُحْسِنُ إِلى المُحْتاجينَ . وتُحِبُّ الشَّعْبَ ، والشَّعْبُ يُحِبُّها ، وتشَارِكُ الناسَ شُعورَهُم ومَسَرَّاتِهم وَأَحْزَانَهمْ . وَلاَ عَجَبَ : فَقَدْ رَجَعَ إِليْها قَلْبُها .

القِصَّة الثانيَة

الْفَتاةُ الْغَنِيَّةُ وَالْعَمَلُ

قصة واقعية

كانَتْ هُناكفتاةٌ صَغِيرةٌ اسمها خالدَةُ ، وكان أَبوها وأُمُّها من الأَغْنياءِ الذينَ وَصَلوا إِلَى ثرْوَتِهِمْ بِعمَلِهِمْ وجدِّهِمْ وإِخلاصهِمْ . وقدْ أَحَبَّ الأَبَوانِ ابنَتَهُما خالِدَة حُبًّا كثيرًا ؛ لأَنَّها كانَت الابنْةَ الواحدةَ ، ولشدَّةِ تعَلُّقِهما بها وحُبِّهما لَها تَركاها تَلعبُ طولَ النَّهارِ ، ولمْ يَسْمَحا لها بالقِيامِ بأَيِّ عَملٍ مِن الأَعْمال .

وقد كبِرَتْ ، خالدَةُ وهى مُؤَدَّبةٌ كريمةُ الْخُلُق ، يُحبُّها كلُّ من يَعْرِفُها ، ولٰكنَّها لا تَسْتطيعُ أَن تَعْمَلَ شيئاً ؛ فهى لا يُمكِنُها أَن تصْلِحَ جَوْرَباً لِنَفْسِها ، ولا تَسْتَطيعُ أَن تَخيطَ ثَوْباً ، ولا تَعرِفُ كيفَ يُخْبَز

الْخُبزُ ، أَوْ يُطْبَخُ الطَّعامُ ، أَوْ يُنَظَّمُ المَطْبَخُ ، أَوْ يُرَتَّبُ المنزِلُ ، فكان عملُها فى بيتِ أَبيها أَنْ تأْكلَ وتشربَ ، وتَلْبَسَ وتلْعَبَ وتَنامَ ، ولا عَمَلَ لها مُطْلَقاً فى المنْزِل . ولم تشْترِكْ فى إعدادِ شَىءٍ فيهِ .

كَبِرَتْ خالدةُ وصارتْ فى سنِّ الزَّواجِ ، فخَطبَها شابٌّ من الشُّبانِ الَّذِينَ يُفكِّرون فى الغِنى ، ورضيَتِ الْأُسْرَةُ بالزَّواجِ ، وعُمِلَ الفَرَحُ ، وانتقَلَتْ خالِدَةُ إلى بَيْتِها الخاصِّ بها ، فَرَأَتْ نفْسَها مُضْطرَّةً إلى العِنايةِ بِبَيْتِها ، وهى لا تعرِفُ من شُئونِ البيتِ شيئاً .

بَدَأَتْ خالدةُ حياتَها فى بَيْتِها الخاصِّ ، فوَجدَتْ صُعوبةً كبيرةً فى إدارَتِه ؛ فهُناك أَشياءُ كثيرةٌ يجِبُ أَن تُعْمَلَ وتُنظَّمَ ، وهىَ لا تعرِفُ شيئاً عنْ إدارةِ المنزلِ وتنظيمِه ولا تَسْتَطِيعُ القِيامَ بِأَىِّ شىْءٍ . ولا غَرابةَ ، فَهِى لمْ تعْتَد العملَ منْ قبلُ ، ولم تُحاوِلْ أَىَّ عملٍ وهى فى بيتِ أَبيها . تركتْ شُئونَ بيتِها للطبَّاخ والخادِمِ ،

خالدة جالسة أمام والديها فى حجرة الاستقبال

فإذا أَتَى الطَّبَّاخُ لِيَسْأَلَها ماذا أَفعلُ اليومَ ، اضطُرَّتْ لأَنْ تجيبه بقَوْلها : لا أعْرِفُ . وإذا أَتت الخادمُ لِتسأَلَ سيِّدَتها فى أَمرٍ منَ الأُمور أَجابتْها بأَنَّها لا تعرِفُ عَنْهُ شَيئًا . وَتركَتْ أُمورَ البيتِ للخادِمِ والطَّباخِ ، ومكَثتْ بغيْرِ عَمَلٍ .

فَبَدَأَتْ تَسْأَمُ وَتَمَلُّ : فَالْوَقتُ طويلٌ ، وهِىَ لا تَسْتَطِيعُ الْقيام بِأَىِّ عَمَلٍ .

أَحَسَّت الخادِمُ بِأَنَّ سَيِّدَتها لا تعْرِفُ شيئاً من شُئونِ البيتِ ، وَأَحَسَّ الطباخُ بأَن سيِّدتَهُ جاهِلةٌ بأُمورِ الْمطبَخ ، ووجداها جالسةً فى البيت لا تعملُ شيْئاً ، فتعلَّما منها الكسلَ ، وقَضَيا أَيضاً الوَقتَ بغيْرِ عمل .

كانَ زَوْجُ خالِدَةَ يَقْضِى وَقتَهُ فِى عَملٍ شاقٍّ خارِجَ الْمَنزِلِ ، فَإِذا رَجَعَ إِلَى بَيتِهِ لِيَتَناوَلَ طَعَامَ

العروس فى حيرة لأنها لا تعرف الطبخ والتدبير ، ولم تستطع إجابة الطباخ والخادم

الْغَدَاءِ أَوْ الْعَشَاءِ وَجَدَ الطَّعامَ غَيْرَ مُعَدٍّ ، واضْطُرَّ إلى الإنْتِظار حتَّى يُعَدَّ ويُجهَّزَ . وإذا وَجَدَ الطَّعَامَ جاهِزًا وَجَدَهُ لا يَصْلُحُ لِلْأَكلِ ، ورَأَى أَنَّ الْمَنزِلَ مُضْطَرِبٌ ، والْبَيْتَ غيرُ مُرَتَّبٍ ، وغَيرُ مُنظَّمٍ ، ووَجَدَ الغُبارَ والتُّرابَ فى كلِّ مكانٍ . وهٰذا كُلُّهُ أَدَّى إلى حُزْنِ الزَّوْجِ وحُزْنِ الزَّوْجةِ ؛ لأَنها تريدُ أَنْ ترى بيتَها نَظيفاً مُرَتَّباً ، وتَرَى الطَّعَام مُعَدًّا إعْدادًا صَحيحاً ، والْمائدةَ مُعدَّةً فى الوَقْتِ المُناسِبِ ، وتَمنَّتْ أَن يكون بيتُها مُنَسَّقاً فيهِ كلُّ وسائلِ الرَّاحَةِ لها ولزوْجِها ، ولٰكنْ ماذا تفعلُ لتَحْقيقِ هٰذهِ الرَّغبةِ الشَّديدةِ ؟

وذاتَ يومٍ حَضرَ زَوْجُها مُتْعَباً ، وكان مُضطرًّا إلى الْخُروج بعد قليلٍ ، فلم يَجدْ شيئاً مُعَدًّا من الطَّعام ، فخرج غاضِباً ، وقال لها وقد ظَهَر عليه التَّأَثُّرُ الشديدُ : إنِّى لا أَعْجَبُ إذا كانَ البيْتُ مُضطرِباً غيرَ مُنظَّمٍ ؛ لأَنكِ تَجْلِسينَ طولَ النَّهارِ على الكُرْسىِّ ، ولا عملَ لكِ مُطلقاً

وقد خَرجَ الزَّوْجُ وترك زَوجتَه خالِدَةَ تَبْكى بُكاءً مُرًّا ؛ فهى تريدُ أَن يكونَ زَوْجُها سعيدًا ، وأَن تكونَ حياتُهُما سعيدةً ، وفى بَيتِهما كلُّ وسائلِ الرَّاحةِ . ولا تريدُ أَن يخرُجَ زَوْجُها غَضبانَ أَوْ مُتألِّمًا فى يَومٍ من الأَيَّامِ .

أَخذتْ خالِدَةُ تَبكى وتقولُ لِنفسِها : إِنِّى أَتَمَنَّى أَنْ أَسْتطيعَ الْقِيامَ بِكُلِّ عَمَلٍ فى الْمَنزِلِ ، وأُحِبُّ أَنْ أَعْمَلَ وأَتَعَلَّمَ كُلَّ شَىْءٍ يحتاجُ إليهِ البَيتُ ، من غَسْلٍ وكَىٍّ وطَبْخٍ وخِياطةٍ وتفصيلٍ وتَدْبيرٍ ، حتى أَستطيعَ أَن أُنَظِّمَ بَيْتى وأُديرَهُ كما يَنْبغى ، ولٰكِنْ ماذا أَفْعلُ ؟

وبَعد أَن تَمَنَّتْ ما تَمَنَّتْ حَضَرَتْ والِدَتُها لتزورَها فى بَيتِها . فوجَدَتْها حَزينةً تَبْكى ، فَسَأَلتها ماذا حَدَثَ يا عزيزتى ؟ ولماذا تَبْكين ؟

فَأَجابتْها خالِدَةُ : إِنِّى أَبْكى لِأَنَّنى لا أَعرِفُ كَيْفَ أُديرُ بَيْتى ، وقَد اعْتَدْتُ أَلا أَعْمَلَ شيئاً فى

بيْتِ أَبى . وقد كان هٰذا خطأً ، وكان من الواجب أَنْ أَعْرِفَ شيئاً عَن الطَّبخِ والكَىِّ وإِصْلاح الْمَلابِس وخِياطَتِها ، وتنظيمِ الْمَنزِلِ وإِدارَتِه ، ولٰكنِّى لمْ أَتعلَّمْ شَيئاً وأَنا صَغيرةٌ ، فَلا عَجَبَ إِذا لمْ أَسْتَطِع الْقِيامَ بأَىِّ عَملٍ الآنَ وأَنا كَبيرةٌ .

فَقالتْ لها أُمُّها : سَأَشْترِى لَكِ عِدَّةَ كُتُبٍ لِلطبْخ والتَّدْبير الْمَنزلِىِّ ، وَبَعدَ قِراءَتِها يُمْكِنُكِ أَن تَتعلَّمى كل شَىْءٍ ، وتُجَرِّبيهِ بنفسِاكِ ، وَسَأَحْضُرُ لَكِ يَوْمِيًّا لأُلاحِظَكِ وأَنتِ تَعملينَ .

اشْترت الأُمُّ مَجموعةً ثَمينةً من كُتُبِ الطبخِ والتَّدْبيرِ المنزلِىِّ ، وأَهْدتْها إِلى ابنتِها ، وأَخذَتْ تَقْرَؤُها حتى انتَهتْ منها ، وبدأَتْ تَشْتركُ فى الطبخِ والكىِّ ، وتُباشِرُ غَسْل الْمَلابِس ، وتُجَرِّبُ إِصلاحَ ما يَحْتاجُ إِلى إِصلاحٍ منها . وفى كلِّ يَوْمٍ كانَتْ تُجَرِّبُ أَنواعاً خاصَّةً من الطَّعامِ ، حتى أَصبحتْ تحْسِنُ الطبخَ ،

وأَصبحَ منزِلُها نظيفاً مُرتَّباً ، وصارَت الأَزهارُ فيه مُنَسَّقةً تَنسيقاً جَميلًا .

وَتغيَّرَ كُل شَيْءٍ فى الْمَنزل : فالْأَثاث نظيفٌ والْحُجَرُ مُرَتَّبَةٌ ، فإذا أَتى مَوعِدُ الْإفطار كان الإفطارُ مُعَدًّا أَحْسَنَ إعداد . وَإذا حضَرَ زَوجُها وَقْتَ الغداءِ وَجَدَ الْمائِدةَ مُعَدَّةً وَالطَّعامَ عَليْها . وَإذا أَتى مَوْعِدُ الشاى تناوَلَهُ فى مَوْعِدِه ، وَإذا أَتى وَقْتُ الْعَشاءِ كان كُلُّ شيْءٍ مُنظَّماً وَمُرَتَّباً .

وفى أَوْقاتِ فَراغِها كانتْ تَشْغَلُ نَفسها بإِصلاحِ الْملابِسِ وَخِياطتِها ، أَوْ صُنْع صَدْرِية من الصُّوفِ لِزوْجِها لِإهدائِها إِليهِ فى عيدِ مِيلادِهِ ، أَو عَملِ حُلَّة لابنتها الصَّغيرةِ .

وَلَمْ تكتفِ خالِدَةُ بهٰذا ، بلْ تَعلَّمَتْ كيفَ تَعْجِنُ الْعجينَ ، وَكيفَ تَخْبزُ الْخُبْزَ ، وكيف تعملُ الْكعكَ ، وكيفَ تُعِدُّ مائِدَةً للضُّيوفِ . وقد استطاعتْ

فى النِّهايَة أَن تَعْتَمِدَ على نفسها وعلى يديْها فى كلِّ عملٍ ، فإذا خرجَ الطبَّاخُ من الْمَنزلِ اسْتَطَاعَتْ أَن تَقومَ هِيَ بالطَّبْخ ، وَإِذا خرجت الْخَادِمُ من الْبيْتِ أَمْكنها أَنْ تُديرَ شُئُونَهُ بِنَفْسِها مِنْ غَيرِ حاجَةٍ إِلَى أَحَدٍ.

وَقَدْ أَمكَنها بَعْدَ التَّجْرِبةِ أَن تَصْنَع كلَّ أَنْوَاعِ الْكَعكِ ، وَكُلَّ ما تَحتاجُ إِلَيْهِ مائِدَةُ الشَّاي ، وأَظْهَرَتْ مَهارَةً فى كُلِّ عَمَلٍ قامَتْ بِهِ ، وَصار مَنزِلُها مِنْ أَحْسَنِ الْبُيوتِ نِظاماً وَتَرْتيباً وتَنْسِيقاً .

وَحِينَما أَحَسَّت الْخادِمُ بأَنَّ سَيِّدَتَها تُحْسِنُ الْعملَ وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْملَ بَدَأَتْ تَعْملُ ، وتَجْتَهدُ فى أَداءِ عَمَلِها كَما يَنْبغى . وَحينما فَهِمَ الطبَّاخُ أَنَّ سيِّدتَهُ صارَتْ تُحْسِنُ الطَّهىَ والطَّبخَ اجْتَهَدَ فى إِعدادِهِ وَتَنْويعِه ، وَإِجادَتِه وَإِتْقانِهِ . وَقدْ صارَتْ خالِدة الانَ تُجيدُ التَّفصيل والحِياكَةَ والتطريزَ ، فهِيَ نَفْسُها تَحيكُ مَلابسَها وَمَلابِسَ أَوْلادِها بِنَفْسِها . وَقَدْ أَصْبحَ بَيْتها

خالدة تجهز الطعام لبيتها ، وأمها تساعدها ، والطباخ بجانبها

مِثاليًّا فى مَواعيدِه وَأَثَاثِهِ ونظامِه ، وصَارَ كلُّ شَىْءٍ فى الْبَيتِ مُنَظَّماً ، والْعَمَلُ يَسِيرُ كالسَّاعَةِ الدَّقيقة . وأَصْبحَ الْكُلُّ يَعْلَمُ أَنَّ فى يَوم السَّبت يكونُ الْإِفطارُ كَذَا ، وَالغَدَاءُ كَذَا مِنَ الطَّعام ، وَفى الْعَشاءِ يكونُ الطَّعامُ كَذا ، وأَصْبحَ لِكُلِّ يوْمٍ طَعامٌ خاصٌّ ، وتَرْتيبٌ مُعَيَّنٌ . وَقدْ صارَ الزوْجُ الْآنَ سعيدًا ، وَلَيْسَ عِندَهُ ما يُغضِبُهُ أَوْ يُخرِجُه غَضبانَ ، وَحياتُهُ معَ زَوْجتهِ وأَولادِهِ سَعيدةٌ هانئةٌ .

وَالزَّوْجُ الْآن فَخورٌ بزَوْجَتِه ؛ فَهُوَ يَقول : إنَّ زَوْجَتِى أَكْثرُ مَهارةً مِنْ والِدَتى وَجدَّتى ، فمعَ وُجُودِ خادِمٍ واحِدٍ وَطَبَّاخٍ واحِدٍ عِنْدَنا فى الْبَيْتِ تَعتقِدُ إذا رَأَيْتَ الْأَعمَالَ فى الْمَنزِلِ أَنَّ عِندَها عَشَرَةً مِنَ الْخَدَمِ ، وقدْ عاشَ الزَّوْجانِ عِيشةً سَعيدَةً راضيَة ، وصارتْ حَياتُهُمامعَ أَوْلادِهِما فى مُنْتَهَى الْهَناءَةِ والسُّرُورِ ، وَأَصْبَحت الزَّوجةُ تَعتقِدُ أَنَّ الْعَملَ هُوَ السَّعادَة ، وَهُوَ الْحَياةُ . والْحياة هِى الْعَملُ . وَلاخَيْرَ فى حَياةٍ بلاعَمَل .

القِصَّةُ الثَّالِثَة

الثِّقَةُ باللهِ

قصة واقعية

قالتْ عليّةُ - وَهِيَ امرأَةٌ صالحةٌ - إنها تزوَّجت هِيَ وأُختُها أَخويْنِ شَقيقين ، فصارَ زوجُ أُختِها سَعيدًا ، وأَقبلَتِ الدُّنْيا عليه ، حتى أَصبَحَ من كبار الأَغنياءِ ، وافتقرَ زوْجُها ، وابْتَعَدَت الدُّنيا عنهُ ، حتى صارَ من الفُقراءِ المُحْتاجِينَ . وماتَ وهوَ فى شِدَّةِ الفقْرِ ، وتركَ لها خَمْسَ بناتٍ . وصَعُبَ عليها أَن تَجِدَ من المالِ ما يَسْمَحُ بتَجْهِيزِه ودفنه بعدَ موته ، ثم ماتَ زوجُ أُختِها ، وقد خَلَّفَ ابناً واحدًا ، وتركَ لهُ مالاً كثيرًا ، وقصرًا عظيماً ، وكثيرًا من الأَرضِ والحدائقِ ، والبُيوتِ والأَموالِ . وقَدْ تَعِبَتْ علِيّة كثيرًا فى مَؤُونة بناتها

الخمسِ ، وتحمَّلَتْ كثيرًا من التَّعبِ والمَشَقَّةِ فى سَبيلِ طعامِهِنَّ ومَلابِسِهِنَّ ومَعيشتِهِنَّ ، حتى ضعُفتْ صِحَّتُها ، وضعُفتْ قُوّتُها ؛ لشدَّةِ الفقرِ ، وكثرةِ الحاجةِ وقلَّةِ ، المال . وكانتْ إذا أُقفِلتِ الأَبْوابُ فى وجْهِها ، ذَهبتْ إلى أُخْتِها ورَجَتْها أَن تُسَلِّفَها شيئاً من النُّقودِ ، واستحتْ أَن تقول لها أَعْطِينى .

ودخلَ شهرُ رمضان ، ومضى نِصْفُه ، واشْتهتْ بناتُ عَلِيّةَ شيئًا من الْحَلْوَى ، فذهبت إلى أُختها وقالت لها : أَعِيرينى جنيهاً ، أَعْمَلُ به لبناتى حَلْوَى فى رَمضانَ والعيدِ ، كما يعملُ جيرانى من الناس .

فقالتْ لها أُختُها : إنكِ تغِظينِى دائماً بقولِكِ أَعِيرينى . وإذا أَعَرْتُكِ هٰذا الجُنَيْهَ فَمِنْ أَيْنَ تَرُدِّينَه لى ؟ أَمنْ إيجارِ بُيُوتكِ وَلاَ بيوتَ لك ؟ أَم من إيجارِ حديقتكِ وأَرْضك ولاحَديقةَ لَكِ وَلا أَرضَ ؟ لو قُلتِ أَعطِينى يا أُختِى كان ذلكَ أَحْسنَ .

فأجابتْها أُختُها الواثقةُ الْمُؤْمِنةُ باللهِ : أَردُّه لكِ من لطْف اللهِ الذى لا يَنْتَهى ، ومِنْ كَرَمِهِ الَّذِى يَأْتى مِنْ حَيْثُ لا يُنْتَظَر .

فَقالت الْأُخْتُ الْغَنِيَّةُ : هٰذِه آمالٌ بَعيدَة الْحُصول، وَأَفكارٌ لا يُفَكِّرُ فيها إلاَّ الجَهلةُ الْخياليُّون مِن الناس.

فَانصَرفتْ عَنْها أُختُها الْفقيرةُ حَزينة مُتَأَلِّمةً ،آسِفةً كلَّ الأَسَفِ ؛ لأَنها ذَهَبَتْ إِلَى أُختِها تَسْتَعيرُ مِنها . وَكانَ يَسْكُن بِجوارِها خادمٌ أَسْوَدُ لأَحدِ الأَغنياءِ ، فجاءَها وقال لَها : فى جِوَارِنا يَا سَيِّدَتى امرأَةٌ فقيرةٌ تَلِدُ ، قد أَوْجعَتْ[1] قَلْبى لأَلَمِها . وأَرجو أَن تَذْهَبى إِلَيها ؛ فَلَيْس عِندَها طبيبةٌ وَلاَ مُولِّدَةٌ ؛ فَهىَ فقيرةٌ وَلَمْ تَجِدْ مَنْ يُسَاعِدُها فى أَثناءِ الوِلاَدَةِ .

قالتْ عَلِيَّةُ : وَاللهِ ما رَأَيْتُ سَيِّدَةً تَلِدُ مُطْلقاً ، فذَهَبْتُ إِليها وَدَخَلْتُ ، فَمَسَحْتُ بطْنَها ، وَأَجْلَسْتُها

---

(١) أوجعت : آلمت .

كما كانَتْ الْمُولِّدةُ تجلِسُنى فى ولادتى ، فَوَلَدَتْ من ساعتِها . ولَما انْقطَعَ صِياحُها جاءَ الْخادمُ يَسْأَلُ عَنْها ، فقُلتُ له قد وَلَدَتْ فعَجِبَ من سُرْعةِ وِلادَتِها ، وظنَّ أَنَّ هذا شىءٌ قد نَشَأَ عنْ مَهارة فى مِهْنَةِ[1] الْوِلادةِ . فذهبَ إلى سَيدتِه الغَنِيَّةِ زَوْجةِ أَحَدِ الأَغنياءِ ، وكانَتْ حامِلا بِأَوَّلِ وَلَد ، وَقدقَرُبَتْ ولادتُها ، وعُرِضَتْ عَليها كثيراتٌ من الطّبيباتِ والمُوَلِّدات فاسْتَثْقَلَتْهُنَّ[2] ، ولَمْ ترضَ بواحدة منهنَّ . وقالَ لها : يا سَيِّدتى ، فى جِوَارنا مُوَلِّدَةٌ ماهِرَةٌ تُجيدُ[3] مِهنَتَهَا ، أَحضرتُها لامرأَةٍ جارتنا قد تَعَسَّرتْ ولادتُها ، واشْتَدَّ أَلمُها ، فذَهبتْ إليها ، وولَّدتها فى الحال . ووَصَفَنِى الخادِم بما لا يُوجَد فى قُدْرَةِ أَحد إلاَّ بِتَوْفيقٍ مِنَ الله تعالى .

فقالتِ السَّيِّدَةُ للخادِم : غدًا اذْهَبْ إِلَيها ، وَجئْنِى بها .

فأَتى الخادِمُ ، وَدَعانى إلى سَيِّدَتِه ، فأَجبتُ

---

(١) صناعة . (٢) عدتهن ثقيلات . (٣) تحسن .

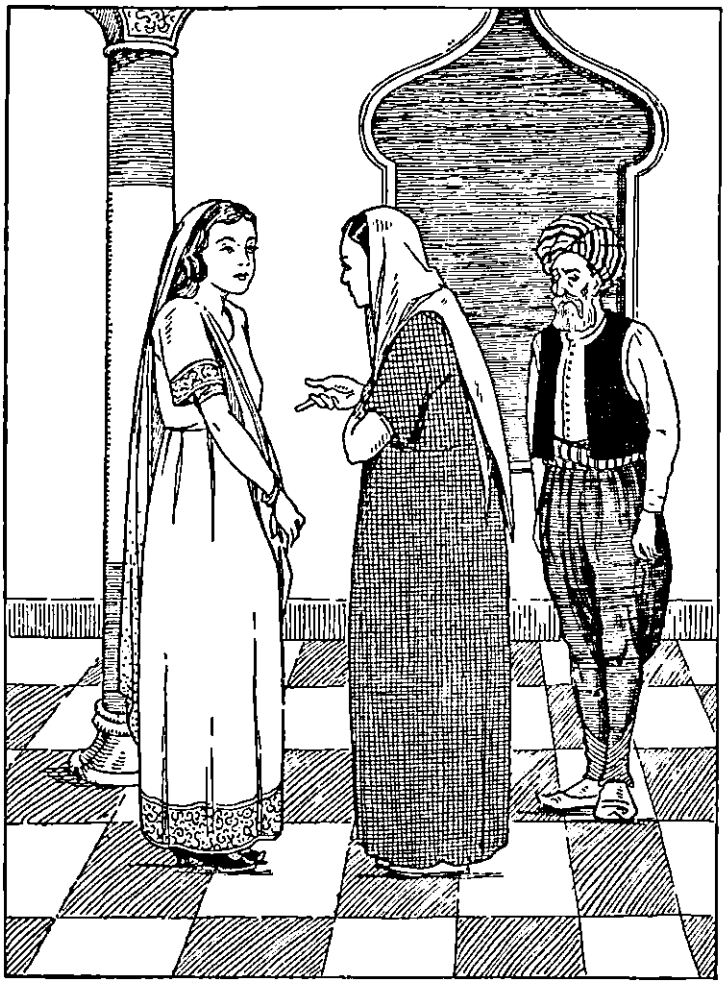

السيدة الصالحة فى الوسط وقد أحضرها الخادم ، وهى تتكلم مع السيدة الحامل

دَعْوتَها وأَنا فَرِحةٌ مسرورةٌ ، واثقةٌ باللهِ كلَّ الثِّقةِ .
وقلتُ : لَعَلَّ اللهَ أَرادَ أَن يُزيلَ ما أَشْعُرُ به مِنَ الضِّيقِ والحاجةِ .

وذَهَبْتُ إِلَيها ، ووَقَفْتُ بيْنَ يَدَيها ، فَاسْتَخَفَّتْ رُوحى ، وَابْتَسَمَتْ فى وَجْهى ، وقابَلتْنى بِالفَرَح والسُّرور ، وَأَظهَرتْ تَمامَ الرِّضا عَنِّى . ثم شَكَتْ أَلماً تجدُه الحاملُ قُربَ ولادتها عادَةً ، فَمَسَحْتُ بَطْنَها ، وَدَعَوْتُ اللهَ فى سِرِّى أَنْ يُوفِّقَنِى . فاسْتراحَتْ ، وسَكَنَ أَلمُها وزالَ . فسُرَّتْ كثِيراً . وتَبرّكَتْ بى ، ودَخل إِلَيها زَوْجُها ، وسأَلها عن حالِها .

فقالَتْ : كنتُ أُحِسُّ بِأَلمٍ شدِيد ، فَزَالَ بِحَمْدِ اللهِ ، وَبِمهارَةِ هذهِ المُوَلِّدَةَ .

فسَلَّمَ عَلَىَّ بِلطْف وَبَشَاشَة ، وقالَ : أَرْجو أَن يُخَلِّصَها[1] اللهُ ببرَكَتك .

---

(١) ينقذها .

فقلت لَهُ : هذا كُلُّ ما أَرْجوهُ يا سَيِّدى . وأَمَلى فى اللهِ كَبيرٌ جِدًّا . وبَعْدَ قليلٍ ظَهَرتْ علاماتُ الوِلادةِ. فأَجلَسْتُها على سَريرها ، ولمْ تَمْضِ ساعتان حتَّى وَلَدَت ابناً مِنْ غَيْر أَن تحِسَّ بالأَلمِ الذى كانتْ تَنْتَظِرُهُ ، وزَوْجُها يقومُ ويَقْعُد ، ويَجِيءُ ويذْهَبُ ، ولمَّا تَمَّت الوِلادةُ ، وكانَتْ تَخافُ كثيرًا مِنْ آلامها سَأَلتْنى ؛ هل انْتهَت الوِلادَةُ ؟

فأَجَبْتُ : نَعمْ ، ففَرِحَتْ كَثِيرًا ، وقبَّلت عَيْنِى وَسَأَلَ زَوْجَها : ماذا تَمَّ أَيَّتُها السيدةُ الصالحةُ ؟

فَأَجَبْتُ : وحَياتِكَ يا سيِّدِى إِنَّها فى صِحةٍ وعافية ، وقَدْ وَلَدَتْ طِفْلاً جَميلاً ، كاملَ الْخَلْق ، لا عَيْب فيهِ فأَعْطانى مائةَ جُنَيْه أَولاً ، وأَلحَّ فى أَنْ يَراها ؛ ليَطْمَئِنَّ عَلَيها ، فَطَمْأَنْتهُ ، ورَجَوْته أَن يَنتظرَ قليلا حتى نقلْتُ حاجاتِ الوِلادةِ ، وقُلْتُ لها يا سَيِّدتى سَيَدخُلُ زَوْجُك الآنَ ؛ ليطْمئنَّ على صِحَّتِك ، فاضحَكى فى وجْهه .

فَلما دخلَ عليها قابلتْه بابتِسامة سُرَّ منها كثيراً ، وهنَّأَها بِسَلامتِها ، وقَبَّلَ طِفْلَه المَولودَ ، وَأَظْهَرَتْ فَرحَها بى ، واطمئنَانَها إلىَّ ، فأَمر الزَّوجُ بتوزيع الصَّدقاتِ على الفقَراءِ والمساكين ، وأَعطانى مائةَ جُنَيْهٍ ثانياً .

ومكثْتُ أَتردَّدُ عليها إلى اليومِ السابعِ من وِلادتِها ، وكانَ ذٰلِكَ قَبْلَ عيد الفِطْرِ بيومٍ واحدٍ .

فأَمرَتْ لى هِى بمائَةِ جُنَيْه هَدِيةً منها ، وأَعطانى أَقاربُها مائةَ جُنَيْهٍ ، وأَعْطتْنى أَكثرَ من ثلاثين ثَوْباً ، وَخَصَّتنى بِكثيرٍ من الحَلْوَى وَالكعْكِ وَهَدايا العيد .

وانصرفتُ إلى منزلى مُعزَّزَةً مُكَرَّمةً ، فأَرْسَلْتُ إلى أُخْتى بعضَ الهدايا ، وَأَهْدَيْتُ إلَيْها بعضَ الحلْوَى والكعكِ .

فجاءَتنى أُخْتى تُهَنِّئنى ، فأَرَيْتُها ما رَزَقَنى اللهُ به من المالِ وَالْمَلابِس والْهَدايا .

الطفل المولود مع أمه ، والأب بجانب السيدة الصالحة

وَقُلْتُ لها : لَمْ يعجبْكِ يا أُختى قَوْلى لكِ : « أَعِيرينى » . وَمِن هٰذا كُنتُ أَرُدُّ لكِ السُّلفةَ . فلا تَسْتَصْغِرى مَن يَعْتَمد على اللهِ ، وَيَثِقُ بِه كُلَّ الثِّقةِ ، وَيَسأَلُهُ دائماً إذا احْتَاجَ .

وقد عَظُمَتْ مَنزِلة عَلِيَّة عِندَ الزَّوْج الْغَنِيِّ ، وَأَصْبَحَتْ مُوَلِّدةً لسيدات الأُسْرةِ جميعها . وَأَقبَلتِ الدُّنيا عليها ، وصَارَتْ غَنِيةً عِنْدَها كثيرٌ مِن المالِ ، وأَحْسنَتْ كثيراً إلى الفُقَراءِ والْمَساكين ، وَأَصْبَحَتْ أختُها تَتَمَلَّقُها ، وتَتَوَدَّدُ إليها . واللهُ وحْدَهُ هُوَ الْقادرُ ، يغْنى مَنْ وَثِقَ به ، وعَملَ مُعْتمِدًا عليه ، وهُوَ الغَنِىُّ الْحَمِيدُ .

الفهرس

الصفحة

المقدمة ٣

القصة الأولى : شهربان الصغيرة ٥

القصة الثانية : الفتاة الغنية والعمل ٢٣

القصة الثالثة : الثقة بالله ٣٥

رقم الإيداع	١٩٧٨/٤٨٢٢
الترقيم الدولى ISBN	٩٧٧ – ٢٤٧ – ٤٨٠ – ٨

١/٧٨/٢٤٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)